اذا صادفت محلا قابلا فلا سال عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من
جهتين احداها انها في نفسها توجب لذة فسوية تنغمر منها العقل الثانية انها
تحرك النفس الي نحو محبوبها وجهته فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب
مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادنا صورته في القلب واستيلاها على الفكر
لذة عظيمة تغمر العقل فتمتنع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا
عجيبا اطيب والذ من سكر الشراب ويحصل به نشاة الذ من نشاة الشراب
وقد ذكر الامام احمد وغيره انه تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي
كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم
عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة
واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك
رؤية وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فانما لا تدركه
العبارة ولا تحيط به الاشارة ولهذه صفة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيي به كل
ارض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومايدة لا يجلس
عليها طفيلي اشار اليه في المدارج فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرناها فهو كما
المحبة لله ولرسوله ومن خالق بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها لدليل قوله عليه
السلام للذي جلده في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه
وفيه الرد على من زعم انه مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر
بالدعا له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب
المرتكب وان من تكون منه المعصية لا تمتنع منه محبة الله ورسوله في قلب
العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية او اذا اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب
المذكور وعلى من لم يقع منه ذلك فانه يخشى ينكل الذنب ان يتطبع على قلبه حتى
يسلب منه ذلك اسال الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته عنه ورضيه
تنبيه وقد اختلف العلما ايما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة فحكى القاضي عياض
ان بعضهم جعلها سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم
بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واصح
لقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي لم اتخذه وقد اطلق المحبة في
لفاطمة وابنها واسامة انتهى وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ماخوذة
من معنى الخلة لكن يرد ما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلى الله عليه وسلم ربه
تعالى حيث قال له تعالى يا محمد سل فقال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا وما في

معناه

معناه رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال
بتفضيل مقام المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكرها القاضي عياض في الشفا منها نقلا
عن الامام ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة ومنها ان الخليل يصل بالواسطة
من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه
به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ومنها ان الخليل قال لا تخزني والحبيب
قيل له يوم لا يخزي الله النبي ومنها ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب
قيل له يا ايها النبي حسبك الله ومنها ان الخليل هو الذي يكون مغفورته في حد الطمع
من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفورته في حد
اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفي كتابي تحفة السا
والقاري تحتم صحيح البخاري وجوه اخرى غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها
نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان
يكون في حد ذاتهما يعني باعتبار مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض
وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم
عليهما الصلاة والسلام لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول
كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه السلام وصف
المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف
الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة قوله تعالى اني اتخذتك خليلا
وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا بما هو افضل خلق
الله على الاطلاق واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غير ضامن هذا المقام
الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول
الى المعرفة الحسي يمتنع على الله تعالى واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول
الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا واما قوله الخليل هو الذي يكون
مغفورته في حد الطمع الى اخره فانه لا يصح ان يكون على جهة التفسير للخليل
ولا تعلق له بمعناه وقصاري ما ذكره انه لا يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم
على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معلولية
في ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة قال ابن
القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله
ومحمد حبيب الله فمن جهله قال المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة
قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له
خليل غيره ويجمع اخباره بمحبة لعايشة وابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا
فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين

Copyright Kings University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)